او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن ما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما
لعفوه من المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له وعندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه وتثبت النسب لمجهوله الذي
يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم
بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم اتم من شفقتهم
روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب
لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه
امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات
النساء واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من
التوارث بالهجرة والموالات في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه الآية او آية المواريث او
فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى
بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر
الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر
من الآيتين ثابت في اللوح والقرآن وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر بما ذكر
وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم
خصصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشأن او موكدا
باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء
الذين صدقوا عهدهم عما قالوا لقومهم او تصديقهم اياهم بتكذيبهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق
صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما
عطف على اخذنا من حيث انه بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لانابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل كانه قال
فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم
قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية
فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت
الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال
وكان الله بما تعملون من خفر بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلا الوادي من قبل المشرق
بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستقر
نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس
الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الفتنة
القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او محنتهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما
حكي عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجري نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى
الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر
المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ
يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين
الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قيس قال بعد محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبين
فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل
هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم هاهنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان
او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموا
لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستأذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان
بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورة الدار اذا اختلت وقد قرئت
بها وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم
دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايمان بدخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول
غيرهم من العسكر بيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها
وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها الا بالفتنة الا باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال
والجواب وقيل كالبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار
يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسؤولا قل لن
ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل

في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم اي وان نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتعا او زمانا
قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام
كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا يدفع الضرر عنهم
ولا نصيرا يدفع الضرر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من
ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا
فانهم يعتذرون وينتظرون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا كقوله قاتلوا الا قليلا
اشحة عليكم بخلا عليكم بالمعاونة او النفقة
في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه فاذا
ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم بالسنة حداد ذرية يطلبون الغنيمة والسلق البسط باليد او اللسان
اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما يفيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا
فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل بصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله
يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا فيفروا
الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودون لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو
حاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم
يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن التعييب لقد كان لكم في رسول الله اسوة
خصلة حسنة من حقها ان يؤتس بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد وهو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة
عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم
ثواب الله او لقاءه ويعم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر
والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل
منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء لكثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول من كان كذلك ولما رأى
المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله انهم سائرون اليكم بعد تسع او
عشر وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم
التعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا الخطب او البلاء الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعداء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فانا العاهد
اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب
النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا تبديلا
غيره تبديلا شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة
وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او
يتوب عليهم تعليل للمنطوق بالثبات والوفاء والعاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة
ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم بغيظين لن ينالوا خيرا غير ظافرين
وهما حالان بتداخل وتعاقب ولقي الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا
غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم جميع صيصية
وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم
فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وقرئ بضم السين روي ان جبريل اتى رسول الله صبيحة الليلة التي انهزم فيها الا
فقال انزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان
لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلوا على
حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه
وسلم وقال حكمت بحكم الله تعالى فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر سبعمائة واورثكم ارضهم مزارعهم
وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روي انه عليه السلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه
فقال انكم في فنائكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال انما جعلت هذه طعمة وارضا لم تطؤها الفارس والرجل
خيبر كل ارض يفتح الى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر على ذلك
يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها زخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة
واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت قبل ابي عائشة
فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات الصالحات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)